شيرياكو الأنكوني (١٣٩١-١٤٥٣م)

Ciriaco d'Ancona،

ودوره في الحفاظ على التراث الكلاسيكي في حوض البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي

د/ عمر عبد المنعم إمام إبراهيم

مدرس بكلية الآداب – جامعة عين شمس

حفل التاريخ الإنساني بشخصيات فكرية وأدبية، كان لها دور بارز، وإسهامات حضارية ملموسة شكّلت ملامح وشخصية أوطانهم، عن طريق ما نقلوه من أفكار وأدوات حضارية من الآخر عبر وسائل التنقل والترحال، وكان الإيطاليون من الشعوب الأولى التي تملكتها الرغبة الشديدة في شق عُباب البحر، لاستكشاف العالم الجديد في القرون الوسطى المتأخرة، وقد ساعدهم في ذلك، امتلاكهم لقوة بحرية هائلة، بجانب إقامتهم علاقات تجارية[١] متعددة مع شعوب شرق المتوسط. ولقد استرعت انتباه الباحث عبارة في غاية الأهمية، أوردها المؤرخ والباحث السويسري ياكوب بروكهارت Jacob Burckhardt، بأن "المستكشف الحق ليس بالرجل الذي كان أول من تصادف أنه اصطدم بأي شيء وتعثرت قدماه فيه، ولكنه الرجل الذي يجد ما قد خرج في طلبه"[٢].

وشخصية موضوع البحث، كانت لديها مقومات المستكشف الجريء، الذي لديه هدف معين ورغبة مُلحة في استكشاف، والحصول على ما كانت تخبئه خزائن مدن وعوالم شرق المتوسط من كنوز دفينة وحضارات تليدة، ونقلها إلى الموطن الإيطالي، والذي ربما ساهم بشكل كبير في النهضة الإيطالية أواخر العصور الوسطى وبداية العصر الحديث.

وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة محورين أساسيين، المحور الأول يسلط الضوء على شخصية شيرياكو الأنكوني Ciriaco d' Ancona، وجهوده البارزة في التنقل والترحال عبر الأراضي الواقعة شرق البحر المتوسط لاستخلاص واستكشاف النفائس الأثرية القديمة، ومدى مساهمة تلك الآثار القديمة في الاستفادة منها لمقومات النهضة الإيطالية، أما المحور الثاني لتلك الدراسة يتناول جانب آخر في حياة شيرياكو الأنكوني، وهو إلى أي مدى كان شيرياكو– من وجهة نظر العديد من مؤرخي الرحلات–يُعد جاسوساً، وهل بالفعل تحققت فكرة الجاسوسية لدى شيرياكو؟ على اعتبار أنه كان قريب الصلة بالعثمانيين، وبالتالي تولدت لديه رغبة جامحة لنقل أخبار المعسكر العثماني إلى دوائر الحكم والسياسة في أوروبا، والشغف في شن حملة أوروبية موحدة ضد الغازي العثماني، وهذا ما سيتم الكشف عنه عبر صفحات الدراسة.

يُعد شيرياكو الأنكوني أو شيرياكو من مدينة أنكونا[٣]، من أهم شخصيات الحركة الإنسانية في إيطاليا شهرة من خلال كتاباته، وأسفاره، ورسوماته، وأيضا مراسلاته، كما أن حياته وأسفاره كانت محط أنظار وجذب انتباه العديد من الباحثين المختصين بدراسات النهضة

الإيطالية، علاوة على أنه كان من أشد المعجبين بالآثار اليونانية والرومانية القديمة ولا سيما النقوش والمخطوطات القديمة، واهتمامه الجم بتلك الآثار جعله يحوز على لقب الأب الروحي لعلم الآثار الكلاسيكية في مطلع العصور الحديثة، وعلى حد تعبير بيتر ميللر Peter Miller، فقد ذكر أن شيرياكو الأنكوني أعلن نفسه بكل وضوح أنه "سيد القوة الروحية والهائلة ... لكي يوقظ الموتى".[٤]، وهذه دلالة على إيمانه بمدى قدرته على تحمل الصعاب والترحال الطويل لكي ينقل صورة حية لأعمال القدامى، فلقد قضى خمس وعشرين سنة متنقلاً في شرق البحر المتوسط وفي بلاد اليونان ينسخ ويجمع العديد من النقوش والآثار القديمة.[٥]

مولده ونشأته:

وُلد شيرياكو في يوم ٣١ من شهر يوليو عام ١٣٩١م في أسرة نبيلة تجارية بمدينة أنكونا، فقد شيرياكو والده فيليبو Filippo عندما كان في السادسة من عمره، وبعد فترة وجيزة واجهت أسرته أزمة مالية ناجمة عن تحطم ثلاث سفن لها في عرض البحر، بالإضافة إلى تعرض اثنتين لغارات القراصنة واستيلائهم على محتواها.[٦]

والدته هي ماسيلا Masiella، على الرغم من التدهور المالي للأسرة، والحياة الفقيرة التي كانت تعيشها، إلا أنها حاولت جاهدة أن تربي شيرياكو وشقيقه شنشو Cincio، وشقيقته نيقولاسا Nicolasa من خلال العمل ليلاً ونهارا حتى تتمكن من تعليمهم بطريقة جيدة.[٧]

شيرياكو التاجر والأثري:

بعد أن بلغ شيرياكو سن المراهقة أثبت جدارته بالاشتغال في مجال الأعمال التجارية وإدارة المكاتب الصغيرة لعمليات التصدير والاستيراد في مدينة أنكونا، وقبل بلوغه سن الثلاثين تولى إدارة الشئون المالية لمشروع إعادة ترميم ميناء مدينة أنكونا، تحت إشراف المحافظ البابوي الكاردينال غابرييل كوندولمر Gabriele Condulmer، "البابا يوجين الرابع" Pope Eugene IV فيما بعد(١٤٣١-١٤٤٧م).[٨]

تحدث فرانشيسكو سكالامونتي[٩] Francesco Scalamonti عن شيرياكو فذكر: "يُعد شيرياكو الرجل الوحيد في الـ ١٣٠٠ عام الماضية منذ عصر الجغرافي السكندري الشهير كلاوديوس بطليموس[١٠] Claudius Ptolemy، في مجال الترحال والاستكشافات الأثرية. ولقد

تنقل شيرياكو بين مدن العالم القديم في اليونان وآسيا الصغرى ومصر والجزر الأيونية وجزر بحر ايجه، كي يعطي صورة مسحية استقرائية لمواقع ومميزات تلك البقاع والتي شملت آثارها وأنهارها وطبيعتها الخلابة وبحارها. وقد سجل شيرياكو كتاباته عن تلك البقاع ليس فقط بالإيطالية، بل أيضا باللاتينية أو اليونانية".[١١]

ذكر سكالامونتي أنه من منطلق تحمل المسئولية، فقد أخذ على عاتقه كتابة سيرة ذاتية عن حياة شيرياكو منذ ولادته، وعن رحلاته. وقد استقى معلوماته من والدة شيرياكو ومن أقاربه ومن شيرياكو نفسه ومن بعض أعماله. ويقول: هذه المادة "رتبتها وتمت كتابتها بشكل مختصر بقدر الإمكان".[١٢]

وكانت نقطة الانطلاق الأولى لشيرياكو عبر المياه الإيطالية، مكنته من التعرف على الأماكن القديمة حول بحر إيجة، والمناطق الواقعة شرق البحر المتوسط حتى آسيا الصغرى، وثمة عوامل حاسمة، كانت سبباً في نجاحه، منها براعته في المعاملات المالية، وعلاقاته الجيدة، التي مكّنته من الدخول إلى الدوائر السياسية العليا؛ فقد أصبح مألوفاً لدى ملك قبرص، والبابا، والإمبراطور الروماني، وكذا إمبراطور بيزنطة، علاوة على السلطان العثماني، وكان يحث كل هؤلاء القوم على المحافظة على الآثار القديمة والتراث الكلاسيكي[١٣]

كان شيرياكو في سن التاسعة عندما اندفع بحماس، وضد رغبة والدته، ليصطحب جده شيرياكو سيلفاتيكو Ciriaco Selvatico الذي في نفس الوقت كان يرتب لرحلة بحرية، أبحرت عبر البحر الأدرياتيكي إلى البندقية Venice، وكانت مدينة البندقية[١٤] الشهيرة والمعروفة بين المدن الإيطالية بآثارها العريقة، نقطة الانطلاق للاكتشافات العظيمة، ولهذا عشقها شيرياكو وبذل كل ما في وسعه ليمتدح ويمجد هذه المدينة.[١٥]

كانت والدته حريصة كل الحرص على تعلمه، فعندما رجع من رحلته البحرية، رتبت مواعيد الدراسة مع معلمه وأستاذه فرانشيسكو زامبيتا Francesco Zampetta، الذي كان يُعلِّم شيرياكو كتابة الخطابات[١٦]، وفي إحدى الرحلات التي ذهب فيها شيرياكو مع جده عبر المدن الإيطالية استقر به الحال لفترة في مدينة مايدا Maida، إحدى المدن التابعة لإقليم كالابريا Calabria، وحرصاً من جده على تعليم شيرياكو؛ فقد وضعه في إحدى المدارس كي

يستمر في دراسة الخطابات والرسائل برعاية واهتمام من صديقه بالفو من سكيلاتشي Palfo of Squillace، حيث بدأ شيرياكو في دراسة وتعلم أساسيات القواعد.[١٧]

تعلم شيرياكو سريعاً أمور التجارة، واكتسب خبرة واسعة في مجال الشئون المدنية، وأصبح مؤهلاً تماماً ليخوض غمار العمل الخاص والعام في أنكونا. وفي هذا الوقت كان المجال مفتوحاً أمامه ليرى العالم الخارجي؛ فقد اشترك في عمل تجاري بحري خارج الوطن كمحاسب صغير على متن سفينة تحمل شحنة فاكهة.[١٨]

وكان شيرياكو في نظر أقرانه وأصدقائه، شغوفاً وولعاً في استكشاف العالم، ومحباً للآثار القديمة؛ ففي خطاب موجه من أنتونيو ليوناردو Antonio Leonardo إلى فليتشي فليتشيانو Felice Felciano بتاريخ الخامس من أكتوبر عام ١٤٥٧م، وفيه وصف مدى رغبة شيرياكو في اكتشاف العالم ومشاهدة المعالم والآثار القديمة، فذكر أن شيرياكو: "سافر إلى أنحاء العالم يتفقد بأم عينيه المباني، ومعابد الآلهة، والتماثيل الرخامية، والنقوش، وكل أنواع الآثار القديمة. وطوال ترحاله لم يشعر بصعوبة الطريق ولا بقسوة البحر ولا بطول الرحلة، بل كان الأمر سهلاً وممتعاً بالنسبة له طالما أنه ظل شغوفاً وشجاعاً باكتشافه للآثار طوال فترات رحلاته". [١٩]

انطلق شيرياكو عام ١٤١٢م إلى مصر، في زيارة أولى لها، تبعتها عدة زيارات، فكانت الثانية عام ١٤١٨م، وجاءت الأخيرة عام ١٤٣٦م. وفي الزيارة الأولى نزل على مدينة الإسكندرية وشاهد فيها معالم الحضارتين اليونانية والرومانية، كما أصابته الدهشة من رؤية "الكفار"[٢٠] (المماليك) وملابسهم الغريبة، كما شاهد موكب السلطان بما يحويه من حرس وحاشية واحتفالات. وقد أرسل شيرياكو خطاباً إلى صديقه فيليبو ماريا فسكونتي Filippo Maria Visconti عام ١٤٤٣م، وفيه وصف شيرياكو لصديقه، الحيوانات الغريبة التي رآها بمصر كالزرافة والفيل والتماسيح، علاوة على دهشته البالغة من مشاهدته لأول مرة للجمال العربية والنعام والقرود. ويعكس هذا الخطاب أهمية ما جاء فيه من حديث شيرياكو عما رآه؛ فقد أرسل مقتطفات من العجائب التي رآها إلى أصدقائه، وللأسف هذه الرسومات الأصلية فُقدت، لكن

ثمة نسخ منها ظلت باقية على قيد الحياة في عدة مخطوطات، مما يدل على اتساع تداولها. وبعد فترة قرر شيرياكو العودة إلى مسقط رأسه أنكونا محققاً ثراءً معقولاً واكتسب خبرة لا بأس بها في مجال التجارة البحرية.[٢١]

جاءت زيارات شيرياكو إلى مصر في فترة حكم المماليك الجراكسة لمصر، في عهد السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي (١٤١٣-١٤٢١م)، والسلطان الأشرف سيف الدين برسباي (١٤٢٢-١٤٣٨م)، ولسوء الحظ، لم يستطع الباحث العثور على أية إشارة مصدرية تشير إلى مقابلة شيرياكو بأي من سلاطين المماليك، وهذا يدل على أن زيارات شيرياكو لمصر، ربما كانت زيارات عابرة بهدف الاستكشاف، أو لمهام تجارية محددة، عكس زيارات الحجاج الأوروبيين التي تمت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بهدف إقامة علاقات تجارية راسخة بين الأوروبيين ودولة المماليك في مصر، أو بهدف زيارة الأماكن المقدسة بمصر والشام، والتي كانت ضمن برنامج رحلة هؤلاء الحجاج.

من ناحية أخرى، كان شيرياكو تواقاً وتملأه الرغبة في الترحال إلى حاضرة الإمبراطورية البيزنطية العريقة؛ القسطنطينية Constantinople، وقد ساعدته الظروف لهذا، حيث تم تعيينه محاسباً على متن سفينة تجارية متجهة إلى القسطنطينية برفقة أحد أقاربه باسكوالينو Pasqualino، ومر على عدة مدن وبقاع، وعند وصوله بالقرب من غاليبولي Gallipoli التقى شيرياكو ببعض الأتراك، وكانت المرة الأولى له لمشاهدة الأتراك بزيهم العجيب بالنسبة له، المتمثل في القبعات والأحذية الطويلة، وهناك أجرى بعض الأعمال بمساعدة التاجر المميز ليليو فريدوتشو Lelio Freducio، وبعد زيارة غاليبولي، انتقل شيرياكو إلى المحطة التالية فكانت مدينة القسطنطينية، وعند وصوله تقابل مع أحد أقاربه أيضا، وهو فيليبو ألفيري Filippo Alfieri، قنصل أنكونا في القسطنطينية، الذي اصطحبه في جولة لمشاهدة بعض معالم المدينة، فقد أصابته الدهشة من رؤية أسوار مدينة القسطنطينية الشاهقة، وانبهر بالبوابات الذهبية والأبراج المرتفعة الواقعة على جانبي تلك البوابات، كما تفقد العديد من الكنائس المزخرفة ومنها على الأخص كنيسة آيا صوفيا Hagia Sophia، ومشاهدة مضمار الخيل، وغيرها من معالم

المدينة الأثرية، وأثناء تجوالهما في شوارع المدينة، رأى الإمبراطور البيزنطي مانويل باليولوجس (١٣٩١-١٤٢٥م) Manuel II Paleologus في حاشيته.[٢٢]

لم يكن شيرياكو مجرد ناقل أو ناسخ للأعمال القديمة، بل كان يقدم صورة حية لكل هذه الأعمال التي عثر عليها، وقد كشف نشاط شيرياكو في البحث والتنقيب عن الكتب والمخطوطات مدى مساهمته الفعالة في عملية جلب النصوص اليونانية إلى الغرب الأوروبي، وتتضح براعة شيرياكو في قدرته على الدمج والمواءمة بين نشاطه التجاري واهتماماته الأدبية والثقافية؛ ففي عام ١٤٢٥م وصل شيرياكو إلى جزيرة كيوس "خيوس" Chios، وهناك التقى بالعضو البارز والمتعلم من مدينة جنوة أندريولو جستنياني[٢٣] Andreolo Giustiniani، وطبقاً لحديث فرانشيسكو سكالامونتي عن رحلات شيرياكو، فقد ذكر أنه منذ ذلك اللحظة أصبح كل من شيرياكو وجستنياني صديقين مقربين جداً، مما سهل على شيرياكو مهمة البحث والتنقيب. وبمجرد وصول شيرياكو للجزيرة بدأ يزاول هوايته في البحث عن المخطوطات القديمة، وبالفعل توصل بمساعدة صديقه جستنياني إلى اقتناء مخطوطة يونانية للعهد الجديد مقابل عشرين فلورين ذهبية، وقد وصفها سكالامونتي في تعليقاته بأنها "غاية في الفخامة ورائعة الجمال" *Regium e Pulcherrimum*. هذه المخطوطة محفوظة الآن في مكتبة الفاتيكان بروما، وقد احتوت على بعض التوقيعات على الصفحات الأولى وعلى الهوامش باللغتين اليونانية واللاتينية بخط شيرياكو نفسه، مما يدل على امتلاك شيرياكو لهذه المخطوطة المميزة في وقت ما.[٢٤]

بعد عدة شهور انتقل شيرياكو من كيوس إلى جزيرة نيقوسيا Nicosia في قبرص Cyprus لمزاولة أنشطته التجارية وأعماله الإدارية، وكان كعادته يقضي وقت فراغه في قبرص بممارسة هواية الصيد في أراضي الملك القبرصي جانوس Janus، وفي إحدى الأيام، وطبقاً لرواية سكالامونتي فإن شيرياكو كان محظوظاً في اكتشافه؛ "بعد يوم لا بأس به في اصطياد الفهود، وصل الملك برفقة شيرياكو إلى استراحة ما، وكعادة شيرياكو في البحث عن الكتب، ذهب إلى دير قديم ولاحظ من بين مخطوطاته المهملة مخطوطة قديمة للإلياذة، وأقنع شيرياكو راهب الدير باقتناء هذه المخطوطة مقابل نسخة من الإنجيل"[٢٥]

ونتيجة لخبرة شيرياكو التجارية ومهاراته في المفاوضات والإقناع، فقد حصل على مجلد يساعده في تعلم اللغة اليونانية وأدبها، كما حصل على العديد من الكتب عن طريق الشراء مثل الأوديسيا Odyssey وعلى عدد من الأعمال التراجيدية للشاعر اليوناني يوريبيدس[٢٦] Euripides، وكتاب الآثار القديمة لصاحبه ثيودوسيوس السكندري[٢٧] Theodosius Alexandrinus. وكان شيرياكو في وقت فراغه يمعن في قراءة وتفسير هذه الأعمال. وبعد فترة أتقن شيرياكو أساسيات قواعد اللغة اليونانية وكان باستطاعته ترجمة جمل قصيرة من اليونانية إلى اللاتينية، وكان دوماً يرسل ترجماته إلى صديقه المخلص أندريولو جستنياني.[٢٨]

انتقل شيرياكو من نيقوسيا إلى سالونيك Thessaloniki وهناك حصل على العديد من المخطوطات الكنسية والعلمانية، وعلى الفور قام بإرسالها إلى صديقه أندريولو جستنياني في كيوس "خيوس" للمحافظة عليها، بينما استكمل رحلته إلى غاليبولي Gallipoli.[٢٩]

تحدث شيرياكو عن لقائه بجورج كنتاكوزين (١٣٩٠-١٤٦٠م)[٣٠] George Cantacuzenus ابن عم الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن باليولوغس (١٤٢٥-١٤٤٨م) John VIII Palaiologos، واستفاد شيرياكو كعادته من زيارة تلك الشخصيات، وهذه الأماكن، فذكر: "بعد عدة جولات عبر جبال الثلوج وصلت إلى كالافريتا Kalavryta، إحدى المدن اليونانية، حيث التقيت بجورج كنتاكوزين، رجل تعلم في عصر الخطابات والرسائل اليونانية، وقد امتلك مكتبة كبيرة تحوي العديد من ألوان الكتب اليونانية، وقد أعارني تاريخ هيرودوت والعديد من الكتب الكلاسيكية القيمة"[٣١]، وعلى الرغم من كون جورج كنتاكوزين قائداً عسكرياً، إلا أنه كان مولعاً وشغوفاً بالكتب والمكتبات، فقد كوَّن مكتبة كبيرة وهامة في بلدته كالافريتا.[٣٢]

وقد احتفظت مكتبات الأديرة البيزنطية بعدد هائل من المخطوطات اليونانية، وظلت محفوظة في مأمن تحت رعاية وحراسة الرهبان المحليين. ونظرا لاحتواء جبل آثوس[٣٣] Athos على العديد من الأديرة البيزنطية، فقد صمم شيرياكو على زيارة هذه الأديرة بحثاً عن الكتب النادرة؛ ففي نوفمبر عام ١٤٤٤م زار شيرياكو الجبل لمدة عشرة أيام سعياً للحصول على هذه الكتب، وقد تجول من دير إلى آخر، بدأها أولاً بدير فاتوبيدي Vatopedi وهناك عثر على

مخطوطات قديمة لكل من هوميروس وأوفيدوس، ثم انتقل إلى دير بانتوكراتور Pantokrator وهناك أرشده رئيس الدير إلى مجلد قديم للغاية يرجع إلى ديونيسيوس الأريوباغي[٣٤] Dionysios Areopagite، وفي اليوم التالي كان شيرياكو في دير آيفرون Iveron وفي هذا الدير وبمعاونة الراهب يعقوب، وجد شيرياكو الكثير من المخطوطات القيمة الثرية منها مقالات بلوتارخ الأخلاقية Plutarch's Moral Essays والعديد من الأعمال الأخرى. وقد دوَّن شيرياكو بخط يده على أحد المخطوطات التي حصل عليها من جبل آثوس، وكتب عليه باليونانية: "من الدير الأكثر قداسة، دير آيفرون، من الراهب المقدس يعقوب ... ٢٥ نوفمبر".[٣٥]

وفي خطاب موجه إلى أندريولو جستنياني في ١٣ فبراير ١٤٤٧م ذكر فيه شيرياكو أنه اشترى مجموعة أخرى من الكتب التي تم نسخها خصيصاً له في مدينة القسطنطينية، حيث ذكر: "عملي في بيزنطة لم ينته بعد، ولهذا لابد أن انتظر لأنني بصدد استلام نسخة جديدة من عمل سترابون Strabo من الناسخ اليوناني"، وخلال إقامته بمدينة ميسترا Mistra أثناء فصل الشتاء، ما بين عامي ١٤٤٧ و١٤٤٨م، كان يتدارس نصوص سترابون مع رجل العلم جورج جيمستوس بليثون (١٣٥٥-١٤٥٢م)[٣٦] George Gemistos Plethon، وكان نص سترابون قد جلبه شيرياكو إلى إيطاليا، ثم قام جوارينو من فيرونا Guarino da Verona بترجمته إلى اللاتينية تقرباً إلى البابا نيقولاس الخامس Nicholas V[٣٧].

هذه المجموعة من عمل سترابون تم نسخها في العاصمة البيزنطية من أجل شيرياكو، وهي مازالت موجودة إلى وقتنا هذا، ومنقسمة إلى جزءين: الأول في مكتبة كلية إيتون Eton College في إنجلترا، والآخر في مكتبة لورينزيانا Biblioteca Laurenziana في فلورنسا. وقد وقّع شيرياكو بخط يده باللغة اليونانية وبحبر أخضر على الورقة رقم ٣٠٠ من النسخة المحفوظة بمكتبة كلية إيتون بإنجلترا، وكتب عدة تفاصيل من بينها أن هذه النسخة قد نسخها الكاتب اليوناني ثيودوروس أجاليانوس Theodoros Agallianus ونحن نعلم أن شيرياكو قد حمل عمل سترابون معه طوال رحلاته في البيلوبونيز Peloponnesus في الشتاء التالي.[٣٨]

لم يقتصر نشاط شيرياكو على نسخ وجلب النصوص الأدبية القديمة إلى الغرب الأوروبي، بل تعداه لبعض الرسومات التي رسمها شيرياكو واصفاً بعض المباني والآثار القديمة؛ ويرجع الفضل له أنه وضع رسماً لمبنى البارثينون[٣٩] Parthenon، وهو المعبد الإغريقي في مدينة أثينا، وفي هذا الصدد تذكر ماري بيرد Mary Beard أن تلك الرسومات لمعالم البارثينون، ترجع إلى التاجر الأنكوني شيرياكو، الذي زار أثينا مرتين في عامي ١٤٣٦، ١٤٤٤م، وربما استقر على الأكروبول Acropolis نفسه، وفي كلتي الزيارتين، قدم شيرياكو ملاحظات تفصيلية على رسوماته لهذا المبنى العتيق، ولسوء الحظ فإن العديد من هذه الرسومات فُقدت عام ١٥١٤م نتيجة لاشتعال نيران هائلة طالت المكتبة التي كانت تحفظ هذه الرسومات، وبالرغم من ذلك، فقد ظلت بعض الرسومات القليلة المنسوخة باقية لمبنى البارثينون، وبهذا أصبح شيرياكو البطل والمؤسس للدراسات الأثرية في العصر الحديث، ويُشار إليه بأنه الرحّالة الأول منذ العصور القديمة الذي ترك وصفاً شيقاً لمبنى البارثينون.[٤٠]

لم يكن مبنى البارثينون المعلم الوحيد في شرق البحر المتوسط، الذي قدم له شيرياكو رسومات تفصيلية، بل تعداه إلى استعراض للمعبد المُقام بمدينة سيزيكوس[٤١] Cyzicus، والذي ربما يُنسب إلى الإمبراطور هادريان Hadrian (١١٧-١٣٨م)، ويُعد شيرياكو من أوائل الأدباء والمفكرين في بداية العصور الحديثة، الذي قدم وصفاً لهذا المعبد عن طريق مشاهداته وملاحظاته الذي جمعهما خلال زيارتين لهذا المكان؛ كانت الأولى في عام ١٤٣١م، والثانية في ١٤٤٤م.[٤٢]

بعد وفاة شيرياكو بوقت ليس بالبعيد، بدأت المكتبة الثرية التي جمعها بجده واجتهاده، تتشرذم، وتم بيع الكتب اليونانية التي تحصل عليها من شتى البقاع من قِبل ورثته، غير أن كريستوفورو دا ريتي Cristoforo da Rieti عالم الإنسانيات، كان له دور كبير في المحافظة على بعض من إرث شيرياكو الفكري؛ وتفسير ذلك أن كريستوفورو عاش في منفاه في أنكونا وهناك زار مكتبة شيرياكو بعد وفاة الأخير، وهي التي ورثها ابن أخ شيرياكو (غير معروف)، حيث قام كريستوفورو بدراسة أوراق الرجل ونسخ عدة أقسام من تعليقاته، كما نسخ مقتطفات

من النصوص والمخطوطات اليونانية التي وجدها في المكتبة. هذه المخطوطة التي نسخها كريستوفورو موجودة الآن في باريس (المكتبة الوطنية بباريس، ٤٢٥) حيث كتب كريستوفورو عن بعض الأجزاء التي استطاع أن يبتاعها من ابن أخ شيرياكو قائلاً: "عندما كنت أعيش في المنفى بمدينة أنكونا، رأيت في مكتبة شيرياكو الأنكوني أنه رجل شديد الحماس لكل أنواع العصور القديمة؛ فقد رأيت مجلداً كبيراً وفخماً لعمل بطليموس عن التنجيم مكتوب باليونانية، وإلياذة هوميروس، كما رأيت وقرأت أعمال كل من هيسيودوس Hesiodus وهيرودوت وبندار Pindar وكلها باليونانية، كذلك أيضا الأعمال التراجيدية لكل من أريستيدس Aristides ويوربيدس وأريستوفانيس وسوفوكليس، وأعمال أرسطو عن الأخلاق وعن الروح، وبعض كتب التنجيم والهندسة ... علاوة على ذلك اشتريت من ابن أخ شيرياكو العهد الجديد كاملاً وسفر المزامير باليونانية، واشتريت أيضا عمل الأخلاق لبلوتارخ (١٤ كتاب) كما حصلت على ١٥٥ خطاباً باليونانية".[٤٣]

وعلى الرغم من أن شيرياكو لم يكن أفضل الناهمين لاقتناء الكتب في عصره، وكمية المخطوطات التي جلبها كانت معتدلة بالمقارنة مع أقرانه من علماء الانسانيات، إلا أن نشاطه في جمع النصوص القديمة كان له بصمة واضحة في سيرته الذاتية، وفي دراسة جين كولين Jean Colin بعنوان Cyriaque d'Ancone; Le voyageur, le merchand, l'humaniste "شيرياكو الأنكوني، الرحالة، والتاجر، وعالم الإنسانيات"، صورت فيها شيرياكو بأنه تاجر جريء جداً كان دوماً يتعامل مع كل أنواع البضائع بدء من السجاد مروراً بالكتب، ومن تجارة الرقيق إلى الاهتمام بالعصور القديمة. ومنذ ذلك الحين أصبح يُنظر إلى شيرياكو من قِبل العديد من الباحثين على أنه تاجر العصور القديمة، وقد أُشير إلى العديد من أصدقائه على أنهم عملاؤه.[٤٤]

شيرياكو "جاسوساً":

وعلى الرغم من كون شيرياكو مستكشفاً لأعمال القدامى، ورجلاً أثرياً حافظ–قدر الإمكان–على الأعمال الأثرية والرسومات الفنية القديمة، إلا أن الباحثين طرحوا فكرة كونه

جاسوساً، حاول، من خلال معاملاته وعلاقاته بدوائر الحكم والسياسة والقادة والملوك، أن ينقل معلومات عسكرية من المعسكر العثماني–العدو الأول لملوك أوروبا–إلى البابا والقادة الأوروبيين. وفكرة الجاسوسية تُعد حالة طبيعية في اهتمامات الرحالة، وبخاصة الرحالة الأوروبيين الذين اعتادوا زيارة الأماكن والمدن الإسلامية، فهم بطبيعة الحال يقدمون وصفاً لحالة المجتمع الإسلامي من جميع جوانبه، ونظراً لقرب المعسكر العثماني وتواجده في قلب القارة الأوروبية، فكان من البديهي أن تنتقل أخباره وتحركاته إلى الساسة الأوروبيين عبر أحد الروافد الناقلة المتمثلة في هؤلاء الرحالة.

وبالرغم من العلاقات الودية المتبادلة بين شيرياكو والسلطان العثماني مراد الثاني (١٤٢١–١٤٥١م)، الذي منح شيرياكو ممراً آمناً للتنقل والترحال عبر الأراضي التركية[٤٥]، إلا أن شيرياكو–بدافع الحماسة والغيرة على بني جلدته من الأوروبيين المسيحيين–كان تواقاً لإرسال حملة صليبية رادعة ضد هؤلاء الأتراك؛ فقد كان يقدم الدعم ويمد يد العون إلى الحكام الأوروبيين عن طريق أسفاره ومهامه الدبلوماسية في البحر المتوسط[٤٦].

وبدافع من المصالح التجارية والفضول الفكري والعلاقة الطيبة بينه وبين العثمانيين، كان شيرياكو دائم التردد على بلاط السلطان العثماني، وكان متواجداً في مدينة أدرنة Adrianople عام ١٤٤٤م، أثناء المفاوضات التي جرت بين السلطان مراد الثاني ولاديسلاس Ladislas ملك المجر، والتي باءت بالفشل نتيجة انضمام المجر إلى حملة فارنا Varna الصليبية ضد الأتراك[٤٧].

وكان شيرياكو متحمساً لشن حملات صليبية ضد العثمانيين، فبدأ يراسل الساسة وكبار رجال القادة في أوروبا، ففي عام ١٤٣٢م حث البابا يوجين الرابع Eugenius IV على التأهب والاستعداد لخوض حرباً مقدسة ضد العثمانيين، وفي الأشهر القليلة قبل حملة فارنا، كان شيرياكو منشغلاً بكتابة نداءات إلى العديد من أمراء أوروبا لشن الحرب، وفي عام ١٤٤٨م أرسل خطاباً إلى أحد أصدقائه يمتدح فيه بسالة وشجاعة ومهارة القائد المجري حنا هونيادي John Hunyadi أثناء قتاله ضد العثمانيين في معركة كوسوفو الثانية Kosovo، والتي انتهت

بانتصار ساحق للعثمانيين على الحلف الأوروبي.[٤٨] وفي ضوء تلك الشواهد، فثمة غرابة في مسلك شيرياكو، الذي يُعد الصديق والمقرب للبلاط العثماني، وفي نفس الوقت المؤيد والمتحمس للمسيحيين والمحرض على شن حملة صليبية ضد العثمانيين[٤٩].

وبالنظر لفكرة مدى ارتباط شيرياكو بدوائر الحكم العثمانية، وبالأخص علاقته الوطيدة- كما زعم البعض-بالسلطان محمد الثاني (١٤٥١-١٤٨١م) أثناء حصار مدينة القسطنطينية، وبعد سقوطها عام ١٤٥٣م؛ فيزعم الباحث جوليان رابي Julian Rapy، أن علاقة شيرياكو بمحمد الثاني ربما تم فهمها عن طريق الخطأ بواسطة المدون الفينيسي زورزي دولفين Zorzi Dolfin، الذي سجل وصف شهادة أحد الأشخاص، وهو جاكوبو لانجوسكي Jacopo Languschi، الذي شغل منصب السكرتير البابوي لفترة طويلة، فقد ذكر في شهادته أنه "رأى شيرياكو وشخص آخر إيطالي الجنسية "في معسكر السلطان محمد الثاني أثناء حصار مدينة القسطنطينية، وذلك بهدف أنهما يُعلِّمان السلطان ويقرآن له يومياً من أعمال القدامى أمثال، لأرتيوس Laertius، وهيرودوت Herodotus، وليفي Livy، وكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius، ومن سجلات البابوات، وملوك اللمبارديين"[٥٠].

فبالإشارة إلى كون شيرياكو كان في خدمة السلطان محمد الثاني كمحاضر له في المعسكر العثماني أثناء حصار القسطنطينية، فيزعم الباحث جاكوبس Jacobs، بوجود أدلة تؤكد أن شيرياكو استمر في خدمة السلطان حتى بعد سقوط المدينة،-طبقاً لشهادة لانجوسكي- الدليل الأول عبارة عن خطاب مُرسل في ١١ مارس عام ١٤٥٤م، إلى السلطان محمد الثاني عن طريق فرانشيسكو فيليلفو Francesco Filelfo، -وهو صديق مقرب ومن المراسلين لشيرياكو-وقد كتب هذا الخطاب يرجو فيه السلطان ويطلب منه إطلاق سراح مانفريدينا دوريا Manfredina Doria، والدة زوجته، التي سُبيت خلال سقوط المدينة هي وبناته، وهنا يشير فيليلفو في خطابه إلى وجود كاتب السلطان، وهو ما أسماه بـ"النحوي" $\Gamma\rho\alpha\mu\mu\alpha\tau\epsilon\acute{\upsilon}\varsigma$، وكان اسمه كوريكسيس $K\acute{\upsilon}\rho\iota\xi\iota\varsigma$ وطبقاً لزعم جاكوبس؛ فيذكر أن فيليلفو يقصد به وجود شيرياكو الكاتب والمُعلم في معسكر السلطان، ومن المحتمل أنه قصد أحد كتبة السلطان، وهو شخص

يوناني، يُدعى ديمتريوس أبوكوكوس كريتزيس Dimitrios Apocaucos Kritizis، ومن ناحية أخرى، يزعم الباحث فرانز بابنجر Franz Babinger، أن فيليلفو أشار إلى شيرياكو على أنه كان سكرتيراً للسلطان محمد الفاتح[٥١].

أما الدليل الثاني، الذي يتعلل به جاكوبس بصحة وجود شيرياكو بصحبة السلطان العثماني داخل مدينة القسطنطينية بعد سقوطها؛ هو عبارة عن رسم فني عبارة عن تمثال لفارس بيزنطي، ويبدو أن هذا التمثال يخص الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) Justinian I، وهو يقف فوق عمود ضخم في ساحة كنيسة آيا صوفيا، وترجع أهمية هذا التمثال إلى أن جستنيان يمسك بإحدى يديه جوهرة الكرة الذهبية والصليب *Globus Cruciger*[٥٢]، للدلالة على الهيمنة على العالم، واليد الأخرى متجهة ناحية الشرق، وقد أجبرت هيئة هذا التمثال السلطان محمد الفاتح أن يطيح به ويزيله من العمود أثناء دخول القسطنطينية، وهنا يشير جاكوبس إلى أن شيرياكو وصديقه جوفاني داريو Giovanni Dario، قاما بدراسة تفصيلية لهذا التمثال ورسمه، مما يدل على تواجد شيرياكو بالقسطنطينية حينذاك[٥٣].

ويفترض الباحث فايليس ليمان Phyllis Lehmann أن الرسم المتعلق بإعادة ترميم تمثال الإمبراطور جستنيان ربما لا يعود إلى بعد سقوط مدينة القسطنطينية، لأنه بالفعل تم إصلاح التمثال فيما بين أعوام ١٤٢٧م و١٤٣٧م، مما مكّن شيرياكو وصاحبه من رسم التمثال، وهذا الزعم يثبت عدم وجود شيرياكو بالمدينة بعد سقوطها[٥٤].

وبالتالي، فإن تلك الافتراضات والأدلة سالفة الذكر قد تم الاستشهاد بها عن طريق زورزي دولفين، الذي اعتمد بدوره على شهادة جاكوبو لانجوسكي، ورغم ذلك فإن لانجوسكي ربما ليس الشاهد الذي لا ريب فيه، فمن المحتمل أن تكون روايته منتحلة أو مسروقة وتفتقر إلى الدقة، بالإضافة إلى وجود قراءة خاطئة بدون قصد في النص المنشور؛ فقد تبين أن رواية لانجوسكي عن السلطان محمد الفاتح قد استمدها من شخص آخر هو السكرتير البابوي نيكولو ساجوندينو Nicolo Sagundino، فقد أشار ساجوندينو إلى معلمي السلطان محمد الفاتح على حد زعمه: "اثنان من الأطباء كانوا يدرسون له، الأول لاتيني، والآخر يوناني" *duo medico quorum alter latine, alter grece est eruditus*، وربما كان ساجوندينو

على معرفة شخصية بشيرياكو، فقد التقيا سويا مرة واحدة على الأقل في مدينة شالكس Chalkis، أثناء الأسبوع المقدس عام ١٤٣٦م، وبالرغم من أن لقاءهما تم بشكل سريع، إلا أن ساجوندينو حرص أن يدون سطوراً قليلة وبسيطة في مدونات شيرياكو على اعتبارها رمزاً للود بينهما، وفي ضوء هذا اللقاء، من الغريب أن ساجوندينو لم ينوه أو يذكر بأن شيرياكو كان أحد معلمي السلطان العثماني محمد الفاتح[٥٥].

لم يكن ساجوندينو المعاصر الوحيد الذي كتب عن سقوط القسطنطينية، والذي يمكن أن يتباهى بالتواصل مع شيرياكو، فقد كان هناك لاورو قوريني Lauro Quirini، الذي كتب عن سقوط المدينة، كما كتب أيضا عن حياة شيرياكو، ورغم ذلك فإنه مثل ساجوندينو، لم يذكر شيئاً عن تواجد شيرياكو في معسكر العثمانيين أثناء الحصار أو بعد السقوط، وعلى الرغم من أن تلك الحجج قوية، إلا أن عدم الإشارة إلى تواجد شيرياكو في معسكر العثمانيين عند كل من ساجوندينو وقوريني، أمر مريب بما فيه الكفاية لجعل المرء يتساءل ما إذا كان لانجوسكي لم يكن مخطئاً في ادعائه بأن شيرياكو كان من معلمي السلطان الفاتح[٥٦].

ومع الأقوال المتضاربة حول مدى صحة تواجد شيرياكو من عدمه في معسكر العثمانيين، فإن الخطأ لم يكن بسبب لانجوسكي ولا حتى الناقل عنه زورزي دولفين، وإنما يرجع إلى القراءة الخاطئة في النسخة المنقحة والمطبوعة لحولية زورزي دولفين عن سقوط القسطنطينية، والتي نشرها شخص يُدعى توماس Thomas، على ما يزيد عن مائة عام؛ والتي أشار فيها إلى أن الشخص الذي كان يقرأ للسلطان ويُعلمه، يُدعى ديتو Detto، وبالتالي فإن شيرياكو لم يكن هو ذلك الشخص التي تضاربت حوله الأقوال، كما أن هذه القراءة الصحيحة للنص قد فضت الاشتباك بين كل من لانجوسكي وساجوندينو حول طائفة معلمي السلطان، في الوقت نفسه لا يمكن وصف شيرياكو على أنه رجل طبيب–على حد زعم ساجوندينو–فربما لا يوجد صعوبة في قبول أن شيرياكو كان لديه صديق طبيب، ومن المحتمل أن يكون الطبيب الخاص للسلطان محمد الفاتح، الطبيب اليهودي يعقوب من جايتا Jacopo da Gaeta، الذي كان في خدمة السلطان قبل سقوط القسطنطينية حتى وفاته عام ١٤٨١م[٥٧].

فكرة خيالية فقط يمكن توهمها بأن شيرياكو كان أحد مُعلمي السلطان محمد الفاتح، ولكن الحقيقة التي ربما تبدو واضحة، أن ثمة شخصية من أنكونا وأخرى إيطالية كانا هما

اللذان يقومان بالتدريس للسلطان الفاتح، ففي عام ١٤٤٤م، وقبل معركة فارنا، كان شيرياكو يدعو بحماس شديد لشن حملة صليبية ضد العثمانيين، ولا يوجد سبب يُعقل يثني شيرياكو عن التراجع عن رأيه بشأن التهديد العثماني آنذاك، وبالتالي فإن شيرياكو لم يكن شاهداً على سقوط وتحطم بيزنطة، ولم يكن مشاركاً في طموحات وآمال النظام الجديد لإمبراطورية العثمانيين، لأن ما تبقى من حياة شيرياكو، فترة يكتنفها الغموض، ويبدو أنه لم يكن قادراً على العيش خارج موطنه؛ فقد عقد العزم على إنهاء مسيرة التنقل والترحال في مسقط رأسه بسبب مرضه، وفي عام ١٤٥٣م، أي السنة التي سقطت فيها بيزنطة، ورغم كل الاحتمالات التي وردت سابقاً، فإن شيرياكو كان يرقد في قبره في ذلك الحين[٥٨].

الخاتمة:

يتبين مما سبق أن شيرياكو الأنكوني كان له دور كبير وفعال في حركة النهضة الفكرية والإنسانية التي بدأت في إيطاليا ثم انتشرت في ربوع القارة الأوروبية أواخر العصور الوسطى، من خلال نشاطه الجم ومحاولاته الجريئة لخوض البحار المحيطة بموطنه؛ لاستكشاف ومعرفة بواطن المراكز الحضارية، وقد أفاد شيرياكو كثيراً في مجال استكشاف بعض من إرث الحضارة اليونانية القديمة، ونقله إلى إيطاليا مما كان له بالغ الأثر في مقومات النهضة الإيطالية، وكان له دور بارز وكبير في المحافظة على التراث الكلاسيكي، فكان شديد الحرص على نسخ المخطوطات والكتب القديمة إلى نُسخ متعددة، ولحسن الحظ فإن هناك العديد من تلك النسخ محفوظة في مكتبة الفاتيكان، وبعض المكتبات العالمية الشهيرة، والتي تقف شاهدة على الجهد الذي بذله شيرياكو في سبيل المحافظة على هذا التراث القيم.

من جانب آخر، كان شيرياكو، بالرغم من كونه باحثاً ومُفكراً إنسانياً ورائد من رواد النهضة الفكرية والأدبية أواخر العصور الوسطى، إلا أنه كان غيوراً على بني جلدته من الأوروبيين المسيحيين، فلم يرتض بالواقع الأليم الذي ألمّ بالأوروبيين من جراء الاعتداءات العثمانية على القارة الأوروبية، وحاول أن ينقل أخبار المعسكر العثماني إلى القادة والزعماء الأوروبيين، وحَلِم بشن حملة أوروبية ضد العدو، وهنا برزت فكرة الجاسوسية عند شيرياكو، فقد يتهمه البعض بأنه جاسوس، استغل طبيعة عمله الأدبي في التقرب من دوائر الحكم العثمانية ومن ثم نقل الأخبار إلى الجانب الموالي له، لكن الباحث يرى أن فكرة الجاسوسية لم تكن

متأصلة عند شيرياكو، لأن هدفه الأول والأساسي هو نقل مصادر العلم والمعرفة إلى الموطن الإيطالي، وربما استوجبت الظروف السياسية والعسكرية أن يتعامل مع العدو العثماني، وبطبيعة الحال كان شيرياكو يأمل في زوال خطره، فتحتم عليه أن يبذل جهداً في القضاء على هذا العدو، فحاول أن يساهم بدور معين ربما تمثل في نقل أخباره.

قائمة المختصرات

AB	Art Bulletin
BZ	Byzantinische Zeitschrift
EB	Encyclopedia Britannica
JWCI	journal of the Warburg and Courtauld Institutes
NCE	New Catholic Encyclopedia
P	Polity
S	Speculum
TAPhS	Transactions of the American Philosophical Society

الخرائط والأشكال

خريطة (١)

خريطة مُعربة لإيطاليا في القرن الرابع عشر، مُبين عليها بعض المدن الإيطالية وبخاصة مدينة أنكونا مسقط رأس شيرياكو. نقلاً عن:

Medieval Italy Text in Translation, ed. Katherine L. Jansen et al., Philadelphia, 2009, p. 543.

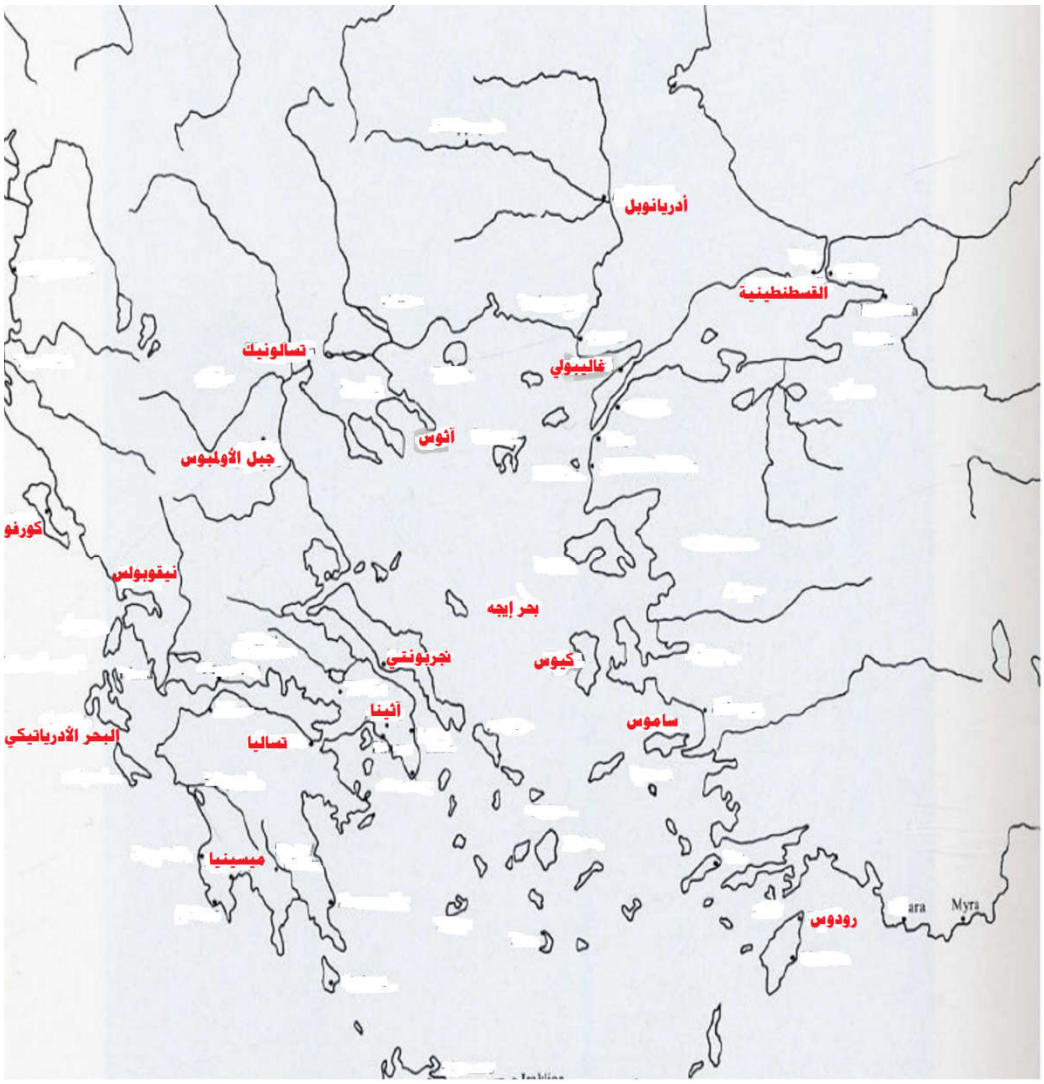

خريطة (٢)

خريطة مُعربة لشرق البحر المتوسط، مُوضح عليها بعض الجزر والأماكن التي زارها شيرياكو خلال رحلاته. نقلاً عن:

Damen, G., *The Trade in Antiquities between Italy and the Eastern Mediterranean 1400-1600*, Vol. 1, PhD thesis, Princeton University, 2012, p. 474.

شكل (١)

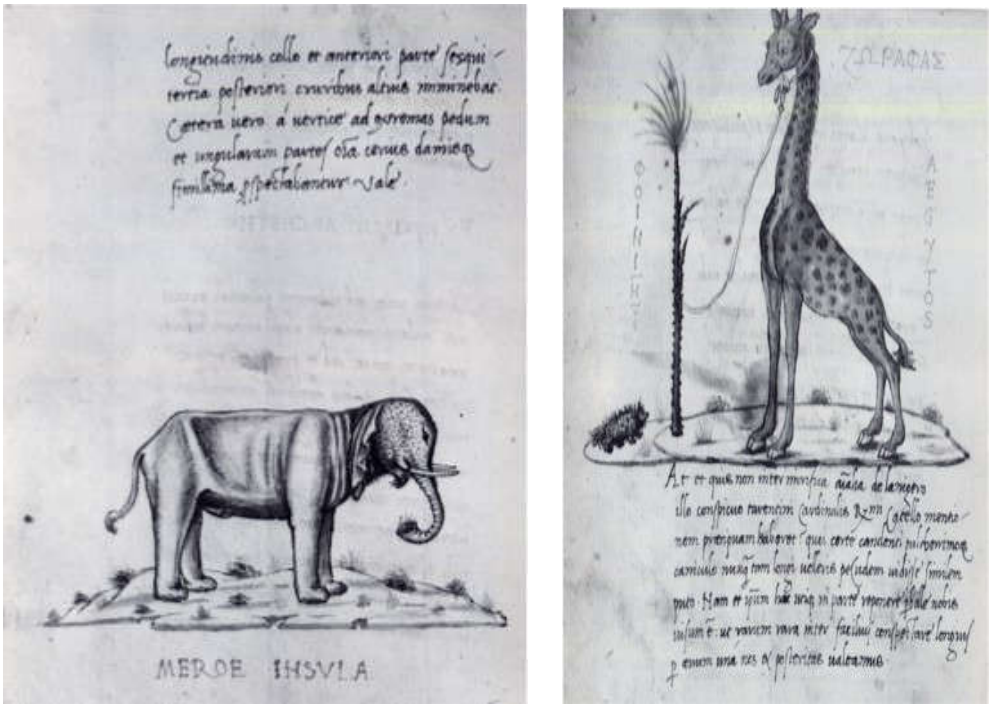

Elephant and Giraffe, copies after drawings by Ciriaco d'Ancona. Florence, Biblioteca Medicea-Laurenziana, fol. 1432v and 142v.

نسخة من رسومات شيرياكو لبعض الحيوانات التي رآها عند زيارته لمصر، نقلاً عن:

Damen, G., *The Trade in Antiquities between Italy and the Eastern Mediterranean 1400-1600*, p. 470.

شكل (٢)

The earliest drawing of the Parthenon to have survived, by Cyriac of Ancona (or a close copy of his work), who visited in the mid-fifteenth century.

نسخة من الرسومات الأولى لمبنى البارثينون، والذي رسمه شيرياكو عند زيارته لبلاد اليونان في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي. نقلاً عن:

Beard, M., *The Parthenon*, Oxford, 2002, p. 64.

شكل (٣)

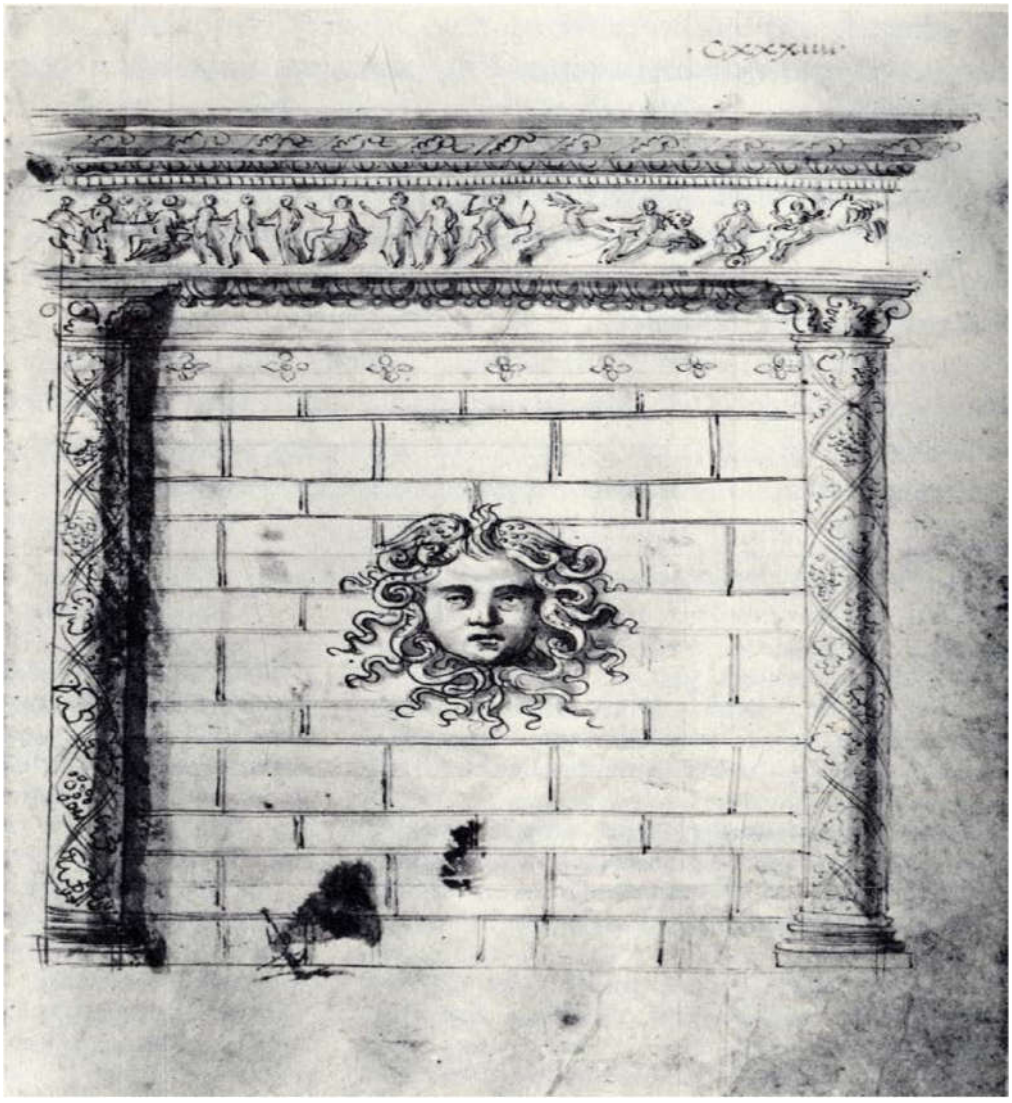

Detail of the Temple of Hadrian at Cyzicus, after a drawing by Ciriaco d'Ancona

رسم شيرياكو لمعبد هادريان في مدينة سيزيكوس، نقلاً عن:

Ashmole, B., "Cyriac of Ancona and the Temple of Hadrian at Cyzicus", *JWCI*., 19, 3/4, (1956), p. 187.

شكل (٤)

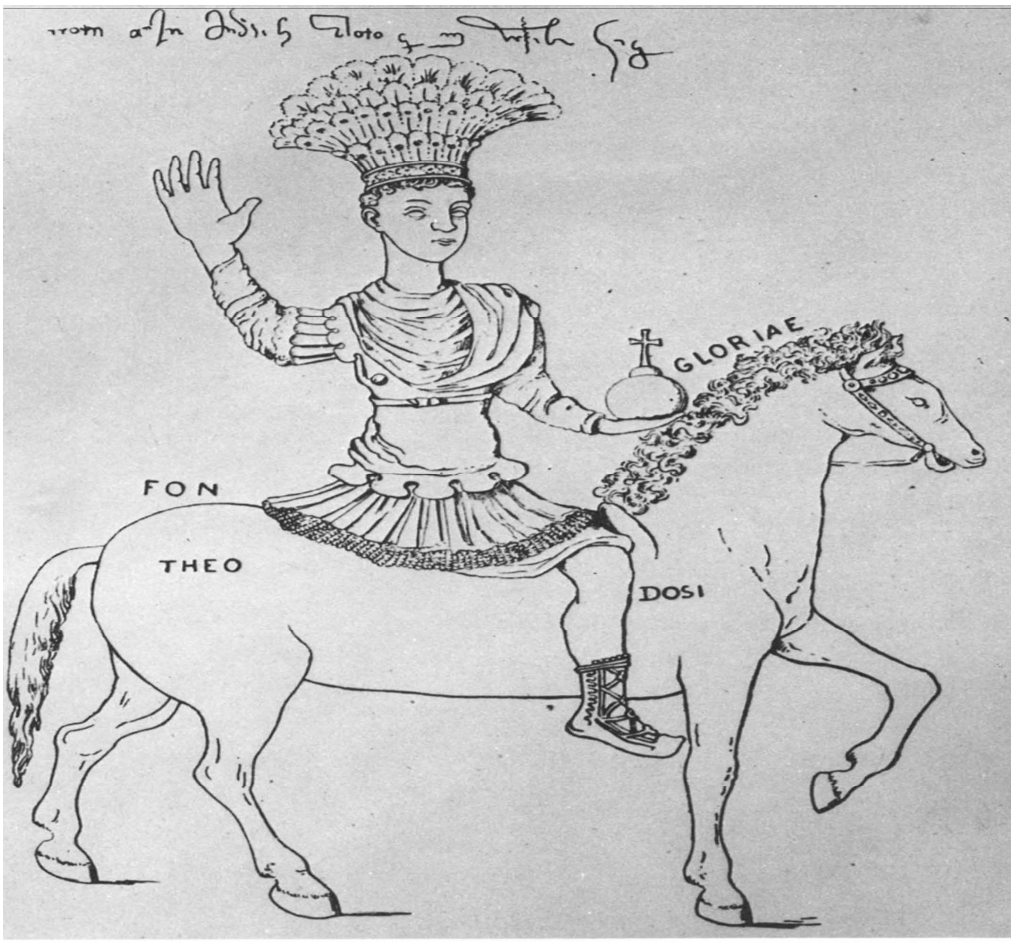

تمثال لفارس بيزنطي، ربما الإمبراطور جستنيان، يمسك بإحدى يديه جوهرة الكرة الذهبية والصليب. من رسومات شيرياكو، نقلاً عن:

Lehmann, Ph., "Theodosius or Justinian? A Renaissance Drawing of a Byzantine Rider", *AB*., 41, 1, (1956), p. 46.

١ – دخلت الجمهوريات الإيطالية في علاقات تجارية متشعبة مع دول حوض البحر المتوسط، وبلدان المشرق الإسلامي خلال القرون الوسطى، وكانت جمهورية البندقية من أولى المدن التجارية التي لعبت دوراً بارزاً في التاريخ الاقتصادي للعصور الوسطى، هذا فضلاً عن دورها السياسي والحضاري، هذه الأدوار المختلفة شكلت نوعية علاقاتها بغيرها من الدول، فكانت لها علاقات مع كل من مصر والشام، وبيزنطة، وبعض المدن الواقعة شرق البحر المتوسط، وكانت لديهم امتيازات تجارية لدرجة أن الأباطرة البيزنطيون منحوا البندقية امتيازات كفلت لها في كل مكان محطات للاستراحة، ومع حلول القرن الثالث عشر الميلادي، صار للبنادقة حي خاص بهم في مدينة القسطنطينية. أما على صعيد العلاقات مع بلدان الشام ومصر، فقد شاركت البندقية بأساطيلها في الحملات الصليبية على المشرق، وكان هدفها، وهدف غيرها من الجمهوريات الإيطالية اقتصادياً؛ نظرا للكسب الكبير الذي سيعود عليها من السيطرة على الطرق المؤدية إلى البضائع والسلع الشرقية. وعقدت البندقية خلال الفترة الواقعة من القرن الثاني عشر الميلادي حتى نهاية القرن الرابع عشر سلسلة من المعاهدات التجارية مع الحكام المسلمين في مصر والشام، وحصلوا مقابل ذلك على امتيازات تجارية كثيرة وإعفاءات ضريبة متعددة، وتصاريح للمرور في الأراضي الإسلامية. للمزيد حول العلاقات التجارية بين إيطاليا وشرق المتوسط، راجع الدراسات التالية: عفاف سيد صبرة، *العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠–١٤٠٠م*، القاهرة، ١٩٨٣م؛ شارل ديل، *البندقية جمهورية ارستقراطية*، ت./ أحمد عزت عبد الكريم، توفيق إسكندر، القاهرة، ١٩٤٨م؛ حاتم الطحاوي، *بيزنطة والمدن الإيطالية– العلاقات التجارية (١٠٨١–١٢٠٤م)*، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢ – للمزيد، راجع: بوركهارت، ياكوب، *حضارة عصر النهضة في إيطاليا*، جـ٢، ترجمة/ عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨.

٣ – أنكونا، مدينة وميناء هام في إيطاليا، وعاصمة إقليم أنكونا، تقع على ساحل البحر الأدرياتيكي، وتبعد ١٠٥ ميلاً جنوب شرق مدينة فلورنسا Florence، أسسها الإغريق من سيراكوز Syracuse، في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم أصبحت قاعدة بحرية رومانية مزدهرة في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد منحها شارلمان Charlemagne إلى البابوية عام ٧٧٤م، لكنها تحولت إلى جمهورية بحرية شبه مستقلة عام ١٠٠٠م، وبالرغم من ذلك فقد ظلت تحت الحكم البابوي المباشر، وبعد تداول العديد من الحكام خلال النضال من أجل توحيد إيطاليا، كانت مسرحاً لاستسلام القوات البابوية عام ١٨٦٠م. للمزيد، راجع:

Canby, C., *Encyclopedia of Historical Places*, New York, 1984. P. 42.

4– Cyriac of Ancona, *Later Travels*, ed. and trans. Edward W. Bondar, (London, 2003), p. ix; Miller, P., "To awaken the Dead", *NR*, New York, (2008), p. 36.

5– Andren, A., *Between Artifacts and Texts, Historical Archaeology in Global Perspective*, New York, 1998, p. 114.

6– Cyriac of Ancona, *Later Travels*, p. x.

7- Cyriac of Ancona, *Later Travels*, p. x.

8- Cyriac of Ancona, *Later Travels*, p. x.

وُلد غابرييل كوندولمر بمدينة البندقية Venice عام ١٣٨٣م، كان راهباً في أحد الأديرة بالبندقية، جلبه عمه البابا جريجوري الثاني عشر Gregory XII (١٤٠٦-١٤١٥م) إلى البلاط البابوي، ثم عينه كاردينال عام ١٤٠٨م. تولى إدارة كل من أنكونا وبولونيا Bologna في ظل بابوية البابا مارتن الخامس (١٤١٧-١٤٣١م) Martin V، وذلك لفترة معينة، وأثناء ذلك حاز على ثقة البابا مارتن الخامس مما جعله يترقى في المناصب سريعاً حتى خلفه واعتلى الكرسي البابوية بعد وفاته عام ١٤٣١م، وجرى تتويجه تحت اسم يوجين الرابع Eugene IV في كاتدرائية القديس بطرس. تُوفي البابا يوجين الرابع عام ١٤٤٧م. للمزيد عن البابا يوجين الرابع، راجع:

O'Malley, J., *A History of the Popes from Peter to the Present*, New York, 2010; Gill, J., "Eugene IV, Pope", *NCE*., 5, Washington, D.C., 2003, p. 444-445.

٩ – الفارس، ورجل القانون، والدبلوماسي؛ فرانشيسكو سكالامونتي (المتوفى عام ١٤٨٦م): أخذ على عاتقه كتابة سيرة ذاتية لصديقه المُقرب شيرياكو الأنكوني، ينحدر من أسرة فرنسية هاجرت من مدينة آرل Arles الفرنسية إلى مدينة أنكونا عام ١١١٤م، مؤسس هذا الفرع من الأسرة هو ويليام من شومون Guillaume de Chaumon، الذي تزوج من سيدة أنكونية عام ١١٢٤م، وغير اسمه إلى سكالامونتي، وبالتالي فإن المصادر قدمت فرانشيسكو على أنه سليل أسرة نبيلة عاشت واستقرت في أنكونا لثلاثة قرون. تاريخ ولادته غير معروف، ولكن منذ أن نوى كتابة سيرة ذاتية لصديقه شيرياكو، فقد ذكر أنه كان يعرفه منذ طفولته، وبالتالي يمكننا أن نفترض بأن عمر الرجلين ربما كان قريباً من بعضهما البعض. أُرسل سكالامونتي في بعثة دبلوماسية عام ١٤٥٠م من أنكونا إلى البابا، وفي بعثة أخرى إلى مدينة البندقية عام ١٤٥٢م، وذلك بوصفه الفارس النبيل، والمتخصص في الشئون القانونية، وكان عالم الإنسانيات فرانشيسكو فيليلفو، صديق شيرياكو، من أصدقاء سكالامونتي، ففي خطاب له بتاريخ ٢٢ يونيو عام ١٤٦٨م، ذكر فيه فيليلفو أن صديقه المُقرب سكالامونتي توفى في هذا العام بمرض الطاعون في موطنه أنكونا. راجع:

Cyriac of Ancona, *Life and Early Travels*, ed. & trans. Charles Mitchell et al., London, 2015, pp. VIII-IX.

١٠ – كلوديوس بطليموس (١٠٠-١٧٠م) عالم الفلك والرياضيات والجغرافيا المشهور، من مواطني مصر، ولكن هناك شك حول مكان ولادته، بعض المخطوطات القديمة من أعماله تصفه بأنه ينتمي إلى مدينة الفرما Pelusium "تقع في نطاق مدينة بورسعيد الآن"، لكن عالم الفلك البيزنطي ثيودور ميليتينيوتيس (١٣٢٠-١٣٩٣م) Theodore Meliteniotes، صرح بأن بطليموس وُلد في مدينة هيرميو Hermiou، التي كانت إحدى أعمال الإقليم الطيبي في العصرين اليوناني والروماني، وهي الآن "مدينة المنشأة بمحافظة سوهاج" في

صعيد مصر. لبطليموس مؤلفات عدة، من أهمها، كتاب المجسطي Almagest، في الفلك، وكتاب الجغرافية The Geography. للمزيد، راجع:

Bunbury, E., "Claudius Ptolemaeus", *EB*., xxii, Cambridge, 1911, p. 618-626.

11- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi et famosissimi Kyriaci Anconitani", *TAPhS*, 86, 4, (1996), p. 101.

12- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 102.

13 - Cyriac of Ancona, *Life and Early Travels*, p. VII.

١٤ – بلغت البندقية في بداية القرن الخامس عشر الميلادي بازدهار تجارتها واتساع إمبراطوريتها الاستعمارية وحكمة دستورها درجة من العظمة لم تبلغها من قبل. وكان المظهر الخارجي الذي تبدت فيه المدينة آية ساطعة لتلك العظمة ورمزاً ظاهراً لها. غير أن ثمة أثرين يفوقان ما عداهما قد أفاضا على المدينة من روائهما: أولهما كنيسة القديس مرقص St. Mark، مركز الحياة الدينية، وثانيهما قصر الدوج مركز الحياة السياسية. ويصف أحد الأدباء الإيطاليين، وهو أنطونيو سابيليكو Antonio Sabilicus، مدينة البندقية بأنها كانت في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي "شكمجية" الجواهر في العالم بما حوت من قباب قديمة وأبراج مائلة، ومن واجهات رخامية مُطعَّمة، وفخامة متزاحمة، حيث لم تحل أغني الزخارف دون الاستخدام العملي لكل ركن من أركان الفراغات المتاحة، وهو يأخذنا إلى الميدان المكتظ بالناس أمام كنيسة القديس جياكومو St. Giacomo، عند الريالتو Rialto، "وسط المدينة" وهناك تتم صفقات الأعمال التجارية. للمزيد راجع:

شارل ديل، *البندقية*، ص ٩٥؛ بوركهارت، ياكوب، *حضارة عصر النهضة في إيطاليا*، جـ١، ترجمة/ عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٤٠.

15- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 102.

16- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 102.

17- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p.103.

18- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 104.

19- Damen, G., *The Trade in Antiquities between Italy and the Eastern Mediterranean 1400-1600*, Vol. 1, PhD thesis, Princeton University, 2012, p. 80.

٢٠- كان إلصاق الألفاظ والمصطلحات بالمسلمين من قِبل الغرب المسيحي أمراً مألوفاً؛ نظراً للصراع العسكري والإيديولوجي بين الطرفين، كما أن المسلمين بادلوهم هذه المهمة، وقد ظهرت هذه الظاهرة بوضوح مع مواكبة الحرب الصليبية على المشرق الإسلامي؛ فقد نعت المسلمون الفرنجة "بالملاعين" في أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م، في حين أن الغرب أطلق على المسلمين مصطلحات: "الكفار"، "أكثر الوحوش البرية افتراساً" "ابن البغي" وذلك في أعقاب سقوط القسطنطينية، ولقد استمرت إشكالية المصطلح حتى مطلع العصور الحديثة؛ ففي أواخر القرن السابع عشر الميلادي طرح مبشر نمساوي سؤال: من هو التركي؟ وكانت إجابته: "هو نسخة

طبق الأصل من المسيح الدجال. إنه نمر شره لا يشبع. إنه وحش حقود. هو لص التيجان دون ضمير. هو صقر قاتل. إنه سم زعاف شرقي. إنه جهنمي غير مقيد. إنه قطعة حسية من الوسخ. إنه وحش طاغ. إنه سوط الرب". للمزيد راجع: هويتكروفت، أندرو، *الكفار تاريخ الصراع بين عالم المسيحية وعالم الإسلام*، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٣٥١-٣٥٢.

21- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 105; Damen, G., *The Trade in Antiquities*, pp. 87-88; Cyriac of Ancona, *Life and Early Travels*, p. 15; Wolff, A., *How many Miles to Babylon? Travels and Adventures to Egypt and Beyond 1300 to 1640*, Liverpool, 2003, p. 64,

22- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", pp. 111, 112; Cyriac of Ancona, *Life and Early Travels*, pp. 31-35.

٢٣ – أندريولو جستنياني (١٣٨٥-١٤٥٦م)، كان أحد المقربين لشيرياكو، وعاونه كثيراً في أسفاره شرق البحر المتوسط، وُلد جستنياني في قرية ليثيون Lithion الواقعة على جزيرة كيوس، وكان ينتمي لإحدى الأسر الجنوية المهمة، بحلول عام ١٤٠٩م ظهر جستنياني كعضو بارز في شركة ماهونا Mahona للتجار وملاك الأراضي، ومثّل الشركة بصفته مسئولاً عن الشئون المالية والإدارية في جزيرة كيوس، تعلم جستنياني ودرس في إحدى المؤسسات الأكاديمية بالقسطنطينية، ثم استكمل تعليمه في أوروبا متنقلاً بين بولونيا وبراغ Prague وباريس Paris، وأثناء تنقله في أوروبا وشرق البحر المتوسط، زار العديد من الأماكن القديمة، وكانت لديه اهتمامات أدبية وأثرية، وفي نهاية حياته كان جستنياني قد جمع مكتبة ضخمة ومجموعة من التحف الأثرية. راجع:

Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 67.

24- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 121; Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 93.

25- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 123; Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 94.

٢٦ – يوريبيدس، شاعر ورائد مسرحي يوناني، وُلد في جزيرة سالاميس Salamis، عام ٤٨٠ ق.م، وتُوفي في مقدونيا عام ٤٠٦ ق.م، عاش في فترة عصر أثينا الذهبي، وكان معاصراً لاثنين من أشهر كُتَّاب المسرحية اليونانية، هما: أيسخولوس Aeschylus، وسوفوكليس Sophocles، كان مولعاً بالدراسة والتعلم، ترك أثينا وذهب إلى مقدونيا، ومات هناك، ترك يوريبيديس عدة أعمال مسرحية، منها على سبيل المثال: ميديا Medea، إلكترا Electra، الباخوسيات "الباكخيات" Baccae، وغيرها من المسرحيات الأخرى. راجع: موري، جلبرت، *يوريبيدس وعصره*، ت./ عبد المعطي شعراوي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٧ – ثيودوسيوس السكندري، عالم يوناني مشهور، تبحر في علم النحو، ويُفترض أنه عاش في زمن الإمبراطور قسطنطين الكبير (٢٧٢-٣٣٧م) Great Constantine، له عدة أعمال، من أشهرها "مقدمة في

قواعد الاسم وتصريف الفعل"، أُضيف إلى هذا العمل بعض القواعد النحوية البيزنطية ونُشر تحت عنوان "قواعد ثيودوسيوس السكندري" *Theodosii Alexandrini Grammatica*، في مدينة ليبزغ Leipzig الألمانية عام ١٨٢٢م. للمزيد راجع:

Smith, W., *Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology*, Vol 3, London, 1849, P. 1071.

28- Francesco Scalamonti, "Vita viri clarissimi", p. 123; Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 95.

29- Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 97.

٣٠ - جورج باليولوغس كنتاكوزين: ينتمي إلى أسرة باليولوغس الأرستقراطية، التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية لفترة من الوقت (١٢٥٨-١٤٥٣م)، وكانت آخر الأسر البيزنطية التي حكمت القسطنطينية قبل سقوطها على يد العثمانيين عام ١٤٥٣م. جورج باليولوغس ابن عم كل من الأباطرة يوحنا الثامن باليولوغس، وقسطنطين الحادي عشر باليولوغس (١٤٤٩-١٤٥٣م) Constantine XI Palaiologos، قضى جورج شبابه بمدينة القسطنطينية يدرس ويتعلم على يد الراهب البيزنطي يوحنا خورتاسمينوس John Chortasmenos، والذي تبحر في علمي الرياضيات والفلك. كانت لدى جورج مكتبة ثرية في كالافريتا، والتي أشار إليها شيرياكو عند مقابلته له. للمزيد، راجع:

Nicol, D., *The Byzantine Family of Kantakouzenos (Cantacuzenus) 1100-1460 A Genealogical and Prospographical Study*, Washington D.C., 1968, p. 176-179.

31 - Cyriaco Anconitano, *Inscriptiones seu Epigrammata Graeca et Latina*, Rome, 1747, p. 130; Bonder, E., *Cyriacus of Ancona and Athens*, Bruxelles, 1960, p. 42.

32- Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 97, 98.

٣٣ - جبل آثوس، أو الجبل المقدس: يُعتبر جبل آثوس واحداً من أكثر الأماكن المسيحية رهبة في العالم، وهو شبه جزيرة صخرية، تقع في الأراضي اليونانية، تكثُر بهذا الجبال العديد من الأديرة المسيحية الأرثوذكسية، وطبقاً للأسطورة، فقد رأت العذراء مريم Virgin Mary جبل آثوس بينما كانت تقوم برحلة بحرية مع يوحنا الإنجيلي John the Evangelist، وعندما فتنها جمال الجبل، أقنعت الرب بأن يهبه لها كحديقة ملاذ لأولئك الذين يبحثون عن الخلاص، ولم تمض فترة وجيزة إلا وتحقق الوعد، فقد وصل الرهبان إلى هناك بشكل تدريجي أثناء العصور المظلمة، كما كانت لصفة العزلة التي اتصفت بها شبه الجزيرة، بمثابة جذب انتباه قوي لأولئك الذين لم يفضلوا الصحاري المصرية والسورية، وبحلول منتصف القرن الحادي عشر الميلادي كان هناك ما يقرب من ٧٠٠٠ راهب في عدة أديرة. وكان تأسيس دير لافرا الكبير The Great Lavra، على جبل آثوس عام ٩٦٣م على يد الراهب أثناسيوس من طرابيزون (٩٢٠-١٠٠٣م) Athanasios of Trebizond، وبتصريح من الإمبراطور نقفور الثاني فوقاس (٩٦٣-٩٦٩م) Nicephoros II Phocas، بمثابة نقطة

جوهرية وهامة في تاريخ الرهبنة الأرثوذكسية؛ فقد كان أول دير يتم إنشاؤه على نطاق واسع في الأقاليم التابعة للإمبراطورية خارج العاصمة. وتضم أديرة جبل آثوس مجموعة ضخمة ومهمة من الوثائق البيزنطية، وقد تم تحريرها من قِبل فريق دولي من الباحثين في سلسلة "أرشيف جبل آثوس" في باريس، وقد بدأ هذا الفريق عمله منذ عام ١٩٣٧م، وتتعلق معظم هذه الوثائق بموضوعات الملكية الديرية، كتسوية النزاعات بين الأديرة حول ملكية الأرض، وأعمال البيع، والتبرع من قِبل العلمانيين للأديرة، ومواثيق إمبراطورية ممنوحة كامتيازات للأديرة، وغيرها من الوثائق الأخرى المختلفة. لمزيد من المعلومات حول جبل آثوس راجع:

هيل، جوناثان، *تاريخ الفكر المسيحي*، ت. سليم إسكندر وآخرون، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٢٥؛

Speake, G., *A History of the Athonite Commonwealth, the Spiritual and Cultural Diaspora of Mount Athos*, Cambridge, 2018, pp 39-54; Talbot, A., "Searching for Women on Mt. Athos: Insights from the Archives of the Holy Mountain", *S.* , 87, 4, (October 2012), pp. 995-1014; Cameron, A., "Mount Athos and the Byzantine World", in *Mount Athos: Microcosm of the Christian East*, ed. Graham Speake et al., Bern, Switzerland, 2012, pp. 11-28.

٣٤ – ديونسيوس الأريوباغي، رجل دين وعالم أثيني، يُقال عنه أنه بلغ ذروة العلم والمعرفة اليونانية. تعلم في أثينا، وانتقل إلى مصر ودرس بها في مدينة هليوبوليس، عند عودته إلى موطنه، أصبح عضواً في مجلس الأريوباغوس "المحكمة العليا بأثينا"، وربما تقلَّد رئاستها. اعتنق المسيحية عن طريق القديس بولس St. Paul، أثناء نشاطه التبشيري في أثينا عام ٥٠م، وصار ديونسيوس من بعدها أسقف أثينا الأول. كان لديونسيوس عدة أعمال، من أهمها: الأسماء الإلهية، واللاهوت الصوفي. وانتقلت أعماله إلى الغرب الأوروبي في القرن التاسع الميلادي، وتُرجمت إلى اللاتينية. للمزيد، راجع:

Smith, W., *Dictionary of Greek*, Vol 1, p. 1038;

بورات، بي، *تاريخ الروحانية المسيحية من زمن يسوع المسيح حتى فجر العصور الوسطى*، ت./ تكلس نسيم سلامة، القاهرة، ٢٠١٢م؛ يوسف كرم، *تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط*، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٥٣.

35- Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 98, 99.

٣٦ – وُلد جورج بليثون عام ١٣٥٥م بمدينة القسطنطينية، ويُعد من أشهر وأهم المنظَرين السياسيين المثيرين للجدل في الإمبراطورية البيزنطية، درس بليثون الأفلاطونية الحديثة والفلسفة الأرسطية في مدينة أدرنة التركية، انتقل للعيش في مدينة ميسترا، وعمل هناك مستشاراً للإمبراطور مانويل الثاني باليولوغس Manuel II Palaeologus (١٣٩١-١٤٢٨م)، كان بليثون من أهم الشخصيات التي عملت على نشر الفكر الأفلاطوني الحديث في الغرب الأوروبي، ضمت دائرة طلابه كل من الكاردينال بيساريون Bessarion، ومانويل كريسولوراس Manuel Chrysoloras، الأديب اليوناني المشهور، ونتيجة للأثر الذي تركه بليثون في الفكر الإنساني في الغرب الأوروبي؛ عندما كان عضواً في الوفد الذي حضر مجلساً في فلورنسا بين عامي (١٤٣٨-

١٤٤٠م) ألقى هناك محاضرة في قصر كوزيمو دي ميديتشي Cosimo de Medici، وربما كانت هذه المحاضرة لها تأثير كبير وعميق على أكاديمية فلورنسا. للمزيد، راجع:

Peritore, P., The Political Thought of Gemistos Plethon: A Renaissance Reformer, *P.*, 10, 2, (1977), pp. 168-168.; Akisik, A., *Self and Other in the Renaissance: Laonikos Chalkokondyles and Late Byzantine Intellectuals*, Ph.D. thesis, Harvard University, 2013, pp. 35-36.

37 - Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 101.

38- Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 100.

٣٩ - مبنى البارثينون Παρθενών؛ هو في الأساس معبد مُخصص للآلهة أثينا، وكلمة παρθένος في اليونانية تعنى "العذراء" ومنها جاء مسمى Παρθενών بمعنى معبد الربة العذراء، أي أثينا ربة وحامية المدينة. يقع المعبد على تل مدينة أثينا الشاهق؛ الأكروبول Ακρόπολις، ففي عام ٤٤٧ ق.م قرر بيريكليس Περικλής أن ينفذ لصالح حزبه مشروعاً قديماً أُعد من قبل، وكان ذلك في أثناء انشغال أثينا بحروبها مع المدن الإغريقية، وقد تخيل بيريكليس هذا المعبد ليس فقط ليحل محل الصروح الأكثر قدماً التي كرست للآلهة على الهضبة المقدسة، ولكن أيضا كمظهر سياسي يرمز إلى عظمة المثّال الديموقراطي. أشرف بيريكليس على إنشاء هذا المعبد، وعهد إلى المهندسين إكتينوس Ικτίνος وكاليكراتيس Καλλικράτης بالاشتراك مع النحات فيدياس Φειδίας، بعمليات البناء والنحت. وكانت التعليمات التي أعطاها لهم فيدياس هي توفير مكان بالمعبد يتناسب مع حجم وطبيعة تمثال الآلهة الذي سوف يصنعه بنفسه، والذي نُحت من الذهب والعاج. وقد بُنيّ هذا المعبد من التبرعات التي قدمها حلفاء أثينا لحمايتهم، كما كان هذا المعبد رمزاً للفخر والكبرياء أكثر منه رمزاً للورع والإيمان. راجع: ديفانبيه، بيير وآخرون، *معجم الحضارة اليونانية القديمة*، جـ١، ترجمة/ أحمد عبد الباسط حسن، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٢٣٢-٢٣٦؛ عزت زكي حامد قادوس، *مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية*، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص ٢٣-٢٥. ولمزيد من التفاصيل حول مبنى البارثينون، راجع:

Cartledge, P., "Archaeology in Greece" in *Greece old and new*, ed. T. Winnifrith et al., London, 1983, pp. 130-131.

40- Beard, M., *The Parthenon*, Oxford, 2002, pp. 65-67.

٤١ - مدينة سيزيكوس هي مدينة قديمة تقع في آسيا الصغرى في ولاية بيثينيا Bithynia، على جزيرة في بحر مرمرة، وتُعد ميناءً رئيسياً في مضيق البوسفور. راجع:

Bunson, M., *Encyclopedia of the Roman Empire*, New York, 2002, p. 164.

42- Findley, A., *The Monumental Province: Asia and the Temples of the Roman Empire*, PhD. Thesis, Washington University, Missouri, 2013, p. 38.

للمزيد عن وصف تفصيلي لمعبد هادريان، راجع:

Ashmole, B., "Cyriac of Ancona and the Temple of Hadrian at Cyzicus", *JWCI*, 19, 3/4, (1956), pp. 179-191.

وفيما يتعلق بقضية ما إذا كان المعبد يُنسب إلى الإمبراطور هادريان أم لا؛ فقد كتب الخطيب والأديب اليوناني إيليوس أريستيديس Aelius Aristides (١١٧-١٨١م) يمتدح في معبد سيزيكوس الضخم عام ١٦٧م، لكنه لم يذكر في مدحه أن هذا المبنى تابع أو مخصص للإمبراطور هادريان. وقد أبدى إعجابه بحجم المبنى، مشيراً إلى أنه يتكون من ثلاثة طوابق عالية وعلى مرأى من البحر. ويمكن التخمين بأن أريستيديس قد ألقى مديحه بمناسبة حدث خاص بالمعبد، ربما في مناسبة إعادة ترميمه وبنائه. ومهما كانت المناسبة فإن أريستيديس ربما رأى المعبد أثناء مراحله الأخيرة من البناء، أو بعد اكتمال بنائه بقليل. وسجل الكاتب والمؤرخ الروماني كاسيوس ديو Cassius Dio (١٦٣-٢٢٩م) أن المعبد قد تحطم من جراء هزة أرضية قد أصابته في عام ١٦١م، ولهذا فإن أريستيديس لم يتحدث عن البناء الأصلي للمعبد، لكنه من المحتمل أنه تحدث عن إعادة ترميمه وبنائه، كما أن كاسيوس لم يسمي المعبد أو ينسبه لشخص معين، بل أشار إليه بقوله "المعبد الموجود في سيزيكوس كان أجمل وأعظم المعابد الواقعة هناك". للمزيد راجع:

Findley, A., *The Monumental Province*, p. 37.

43- Damen, G., *The Trade in Antiquities*, pp. 101, 102.

44- Damen, G., *The Trade in Antiquities*, p. 103.

للاستزادة، راجع:

Colin, J., *Cyriaque d'Ancone. Le voyageur, le merchand, l'humaniste*, Paris, 1981.

٤٥ – قد يتساءل البعض عن مدى الرضا وعلاقة الود بين السلطان العثماني وشيرياكو الأنكوني، بأن يمنحه ممراً سالماً في الأراضي التركية، بل ويتواجد بصفة مستمرة بين جدران البلاط العثماني، يفسر الباحث هايد Heyd، تلك العلاقة الطيبة بين الطرفين؛ بأن مدينة أنكونا-مسقط رأس شيرياكو- كانت تمارس تجارة نشطة بشكل كبير مع البلاد التابعة لبيزنطة وللعثمانيين، فقد كان لأنكونا مستعمرة تجارية في القسطنطينية، وكانت تجدد قناصلها كل ثلاثة أعوام، وعند اختيارهم تأخذ في اعتبارها أحياناً من يفضلهم الإمبراطور البيزنطي، وكان ملاحو أنكونا، ومن بينهم بالطبع شيرياكو، يجوبون دوماً المياه البيزنطية. من ناحية أخرى، كانت أنكونا تطمح في منافسة القوى البحرية الكبرى في البحر الأدرياتيكي، ومن ثم أبدت للأتراك آيات الصداقة والود، فكان البحارة الأنكونيون يزودون الأتراك بالأسلحة الحربية المهربة، وبلغت هذه التجارة حجماً كبيراً حتى أعلنت حكومة البندقية في سبتمبر عام ١٤٣٠م أنها سوف تضطر إلى اعتبار كل سفينة تابعة لأنكونا تحاول عبور الدردنيل عدواً لها وتعاملها على هذا الأساس. ومن هنا فقد تأكدت البندقية من وجود علاقات طيبة بين الأنكونيين والأتراك-أعداء البنادقة-وكانت النتيجة الطبيعية أن يجد البحارة الأنكونيون كل ترحيب في الأقاليم التركية،

حتى ولو لم يجلبوا معهم معدات حربية، وتتفتح لهم الكثير من الأسواق التي كانت مغلقة في وجه غيرهم. راجع:

هايد، *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، جـ١، ت./أحمد محمد رضا، م./عز الدين فوده، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٥٢-١٥٣.

46- Bisaha, N., *Renaissance Humanists and the Ottoman Turks*, PhD. thesis, Cornell University, Ithaca, 1997, p. 108.

47- Schwoebel, R., *The Shadow of the Crescent: the Renaissance Image of the Turk*, Nieuwkoop, Netherlands, 1967, p. 205.

حاول السلطان العثماني مراد الثاني توقيع اتفاقية سلام بينه وبين المجريين، نتيجة لما حققه المجريون من انتصارات كبيرة على العثمانيين، وما أدت إليه من تمرد ولايات البلقان ومحاولة شق عصا الطاعة للعثمانيين، هذه العوامل جعلت السلطان مراد الثاني يفكر في اتخاذ قرار سلمي نظراً للظروف السيئة التي عانى منها على الجبهة الأوروبية من تمرد وشغب. وقام السلطان مراد الثاني بمراسلة ملك المجر، الذي وافق على إرسال وفد مكون من بعض رجاله، واتفق الطرفان على عدة بنود. وأوضح شيرياكو الذي، كان شاهداً على الأحداث، أنه راسل معظم قادة الغرب الأوروبي من الأمراء المسيحيين، والبابوية، يحذرهم من التصديق على هذه الاتفاقية، ويحث هؤلاء القادة على شن حملة صليبية ضد الأتراك، واصفاً لهم حالة الرعب التي يعيشها العثمانيون من خلال انكبابهم على ترميم حصونهم المتداعية في أدرنة. للمزيد، راجع:

Cyriac of Ancona, *Later Travels*, p. 39-53;

سارة العزب حسين عيسى، *الحملة الصليبية على فارنا (١٤٤٣-١٤٤٤م)*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٨٩-٩٣.

٤٨ - في التاسع عشر من شهر أكتوبر من عام ١٤٤٨م، أرسل شيرياكو خطاباً إلى شخص يُدعى إجيديو من ميجارا Egidio of Megara، يخبره أنه نما إلى مسامعه من أحد التقارير العثمانية أن القوات المجرية قد اشتبكت مع العثمانيين، واصفاً في ذلك الخطاب صراع الجانبين الذي امتد على ما يقرب من اليومين، وسقوط العديد من القتلى من طرفي المعركة، إلا أن شيرياكو امتدح مهارة وذكاء وخبرة القائد المجري هونيادي، الذي أدار المعركة وقتل كثيراً من الضباط والقادة العثمانيين، وحاول شيرياكو أن يوهم الرأي العام السياسي حينذاك بأن النصر سيكون حليفاً للأوروبيين. حول هذا الخطاب، راجع:

Cyriac of Ancona, *Later Travels*, p. 355-357.

وعن معركة كوسوفو الثانية راجع: أوزتونا، يلماز، *تاريخ الدولة العثمانية*، ت./ عدنان محمود سليمان، مجـ ١، إستانبول، ١٩٨٨م، ص ١٢٨-١٢٩.

49 - Schwoebel, R., *The Shadow of the Crescent*, p. 206.

50 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", *JWCI*, 34, (1980), p. 242.

51 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 242; Jacobs, E., "Cyriacus von Ancona und Mehemmed II", *BZ*., xxx, (1930), p. 197-202; Babinger, F., *Mehmed the Conqueror and his Time*, trans. Ralph Manheim, Princeton, New Jersey, 1978, p. 118.

كتب فيليلفو هذا الخطاب باللغة اليونانية، على هيئة قصيدة أدبية، يُشيد فيها بأخلاق وكرم وقوة السلطان محمد الفاتح، ويطلب منه العفو وإطلاق سراح حماته وبناته، وأنه على استعداد لدفع الفدية لهن ما تيسر له من مال، وذكر صراحة في نص خطابه: "أن قضيتي سوف يشرحها لكم سكرتيرك كريتزيس Kyritzis شفهياً" للمزيد ولمعرفة نص الخطاب راجع:

Francesco Filelfo, A Mehmed, gran signore e gran emiro dei turchi (Milano, 11 marzo, 1454), in *Testi Inediti e Poco Noti sulla Caduta di Costantinopoli*, ed. Agostino Pertusi, Bologna, 1983, p. 264-269; Legrand, E., *Cent-dix lettres grecques de François filelfe*, Paris, 1892, p. 63-68.

٥٢ - جوهرة الكرة الذهبية والصليب؛ هو رمز مسيحي عبارة عن جسم كروي يعلوه صليب، وهو يرمز إلى الهيمنة والنفوذ في العالم المسيحي في العصور الوسطى، وكان يُنقش أيضا على العملات المعدنية منذ أوائل القرن الرابع الميلادي، وظل مستمر طوال فترة العصور الوسطى. راجع:

Brubaker, L., "Globus Cruciger", in *Dictionary of the Middle Ages*, Vol. 5, ed. Joseph R. Strayer, New York, 1985, p. 564.

53 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 242.

54 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 243; Lehmann, Ph., "Theodosius or Justinian? A Renaissance Drawing of a Byzantine Rider", *AB*., 41, 1, (1956), p. 39-57.

ظل هذا الرسم للتمثال محفوظاً مع بعض المخطوطات في الخزانة العثمانية حتى عام ١٨٧٧م، وربما كان السلطان محمد الفاتح، مؤسس مكتبة القصر العثماني، هو الذي احتفظ بهذا الرسم مع تلك المخطوطات، إلا أن بعض الباحثين خالفوا هذا الرأي، وافترضوا أن المخطوطة التي تضم رسم التمثال، لا تنتمي إلى السلطان محمد الفاتح، بل ربما تعود إلى ماتياس كورفينوس Matthias Corvinus، ملك المجر (١٤٥٨-١٤٩٠م)، لأن محتويات المكتبة الكورفينية شكّلت جزء كبير من غنيمة السلطان سليمان بعدما غزا مدينة بودا Buda، عاصمة المجر، عام ١٥٢٦م، ويسجل نقش تركي أن هذه المخطوطة، كانت في الخزانة العثمانية منذ عهد السلطان سليمان، حفيد محمد الفاتح، وحتى ذلك الوقت، ومع تأريخ تاريخ المخطوطة، فلا يمكن الجزم بأن هذا

الرسم المختص بتمثال الفارس البيزنطي، دليل قاطع على أن شيرياكو كان متواجداً في القسطنطينية بعد سقوطها. للمزيد، راجع:

Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 243; Rady, M., "The Crovina Library and the Lost Royal Hungarian Archive", in *Lost Libraries the Destruction of Great Book Collections since Antiquity*, ed. James Raven, London, 2004, p. 91-105; Casapodi, C., *The Corvinian Library: History and Stock*, Budapest, 1973, pp. 91-92.

55 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 244.

56 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 244-245.

57 - Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 245.

58 - Babinger, F., *Mehmed the Conqueror and his Time*, p. 498; Rapy, J., "Cyriacus of Ancona and the Ottoman Sultan Mehmed II", p. 246.